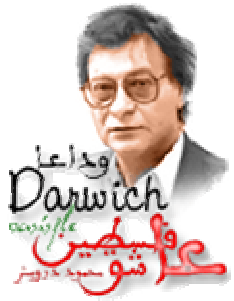

تجليات رمز المرأة في شعر" محمود درويش"

د. محمد عبد الهادي

قسم الأدب العربي . كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

M_hadi83@yahoo.com

" اعتبر خبر رحيل "درويش" خبرا مختلفا" لا أساس له من الصحة، إذ كيف تغيب الشمس في رائعة النهار، وكيف يتوقف نبض الشعر فجأة .. رحل إذا" محمود"، رحل شاعر القصيدة العربية في صورتها الحديثة القادرة على إقامة الجسور بين الشاعر والقارئ، بين القصيدة والجمهور، سلام الله عليه وطاب حيا وميتا.

الدكتور الناقد" عبد العزيز المقالح".

" وبلا شك لن يرث أحد مقعد" درويش" ومكانته في الشعر العربي إلا بصعوبة بالغة، لأنه كان شاعرا نادرا استثنائيا بكل معنى الكلمة".

الدكتور "جابر عصفور"

" كانت قصيدة " درويش القاموس الجمالي الفلسطيني، وقلما التصق مكان الشاعر، مثلما تعلقت فلسطين بدرويش".

"توال العلى"

ولد" محمود سليم حسن درويش" بعد ثورة عام 1936م. بخمس سنوات، تحديدا في 13 مارس 1941م، وارتبطت طفولته بآثارها[1]. في قرية صغيرة تدعى "البروة".

قضاء" عكا"، تأثرت تأثيرا مباشرا بالاحتلال الإسرائيلي البغيض، فقد احتلوها عام 1948م[2] ، ويقول في طفولته" إن طفولتي هي بداية مأساتي الخاصة التي ولدت مع بداية مأساة شعب كامل، لقد وضعت هذه الطفولة في النار، في الخيمة، في المنفي مرة واحدة وبلا مبرر[3]. لنتمكن من استيعابه، ووجدت نفسها فجأة تعامل معاملة الرجال ذوي القدرة على التحمل.."[4]

نزح الشاعر مع عائلته إلى لبنان بعد نكبة 1948م. ومن ثم عاد إلى فلسطين متخفيا ليجد قريته قد دمرت، فاستقر في قريته الجديدة شمالي غربي قريته "البروة "، وأتم تعليمه الابتدائي في قرية دير الأسد بالجليل، وتلقى تعليمه الثانوي في قرية كفر يا صيف.

– عمل محررا ومترجما في صحيفة الإتحاد، ومجلة الجديد.

– اعتقل أكثر من مرة من قبل الاحتلال الصهيوني عام 1961م. بسبب نشاطه السياسي، استقر به الحال في لبنان عام 1972م، حيث ترأس مركز الأبحاث الفلسطيني، وشغل منصب رئيس تحرير مجلة شؤون فلسطينية، ورئيس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

– أسس مجلة" الكرمل" الثقافية في بيروت عام 1981م. توفي رئيسا لتحريرها.

– شغل العديد من المناصب السياسي، استقال من اللجنة التنفيذية ل:" م، ت، ف" احتجاجا على توقيع اتفاق أوسلو.

– له أكثر من ثلاثية ديوانا، ترجم شعره إلى عشرات اللغات العالمية.

من أشهر دواوينه الشعرية(عصافير بلا أجنحة، أوراق الزيتون، أصدقائي لا تموتوا، عاشق من فلسطين، العصافير تموت في الجليل، مديح الظل العالي، حالة حصار وغيرها...

– حصل درويش على عديد الجوائز العربية والعالمية:

*" لوتس" عام 1969م.

* " جائزة البحر المتوسط" 1980م.

*" دروع الثورة الفلسطينية" 1981م.

*" لوحة أوربا للشعر" 1981.

* جائزة" ابن سينا" في موسكو 1982م.

* جائزة" الأمير كلاورس" (هولندا) 2004م.[5]

* جائزة" العويس الثقافية" 2004م.

توفي في يوم 09/08/ 2008م. واجتمع الفرقاء في السياسة والثقافة مغربية بفقدانه، معزين بشاعريته الفذة، فهذا" محمود الزهار" يؤكد على أنه الشاعر" محمود درويش" هو رمز الثقافة والأدب الفلسطيني، وأنه تخطى بشعره الحدود النفسية والجغرافية، وتمكن بشعره من التطرق إلى قضايا كانت من المحرمات فيما يخص المحتل والناس الذين يقاومون الاحتلال[6] ، وهذه شهادة أخرى من" المحتل المغتصب الأديب الصهيوني المعروف" يهو الشواع" حيث يقول" أولا وقبل كل شيء كان محمود درويش شاعرا كبيرا، وامتلك عظمة شعرية حقيقية، حتى أن إنسانا مثلي قرأه عبر ترجمات أشعاره باللغة الأصلية كان في أمكانه أن بعجب بشكل عميق من مخزون الصور والأفكار الغنية لديه، ومن الحرية الشعرية التي سمح لنفسه بإنتاجها"[7]

فيما اعتبر محرر الشؤون العربية في جريدة هارتس الإسرائيلية« تميفي بارئيل» أن عظمة درويش الأساسية هي في البلورة الشاعرية الثاقبة للذاكرة الفلسطينية، خصوصا ما يتعلق بقضية اللاجئين، موضحا في قصيدته(لماذا تركت الحصان وحيدا) أحيا العلاقة بين التهجير والآثار الحية التي أبقاها اللاجئون خلفهم، وعنفوان حق العودة بواسطة رمز الحصان الذي بقي في الخلف، والبئر المتروكة ومفتاح البيت المهجور في جيب كل لاجئ.[8] يحتل" محمود درويش" موقعا فريدا وقلما حظي به شاعر في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة، ولا يقارن نفوذه الأدبي إلا بالنفوذ الخاص الذي تمتع به كبار الشعراء العرب في أطوار ازدهار الشعر حين كان الشعر أشبه " بنبي" الأمة، والناطق المعبر عن كيانها، وعرافها الذي يستبصر أقدارها الماضية والحاضرة ... ولقد توفرت للشاعر أسباب موضوعية وأخرى ذاتية لبلوغ هذا الموقع، وحدث أحيانا

أن كان التفاعل بين هذين النوعين من الأسباب في صالح مشروع درويش الشعري في حصيلته. كما حدث في أحيان أخرى أن ضغط الشروط الموضوعية ألزم الشاعر بدفع برنامجه الجمالي إلى الصف الثاني، والسماح للمهمة الوطنية باحتلال الصف الأول، ولكنه في الحالتين أثبت حساسية فائقة تجاه تطوير لغته وأدواته وموضوعاته، خصوصا في العقدين الأخيرين من مسيرته الشعرية حين استقرت كثيرا معادلة العلاقة التبادلية الوثيقة بين تطوير جمالياته الشعرية، وتطوير نفوذه الأخلاقي والثقافي في الوجدان العربي.[9]

لقد حظيت" المرأة" بمكانة متميزة عند الشعراء" قديمهم وحديثهم"، إلا أنهم اختلفوا في استخدامها وتوظيفها في إبداعاتهم الشعرية، وتغيرت دلالتها القديمة المتوارثة، فقد تجاوزت المفهوم الحسين كونها تجسيدا لعاطفة الحب– الغزل–، بل تحولت إلى رمز له دلالات شتى.[10] ولم تقف المرأة الفلسطينية بمعزل عن محنة فلسطين بل أسهمت في الكفاح بمظاهره المختلفة.[11]

ولابد من التأكيد في هذا المقال– أن الشعر الفلسطيني كان سلاحا من أسلحة المعركة نبه النيام، واستنهض الهمم وفضح أساليب الاستعمار، وكشف عن رسائل الصهيونية ونشر الوعي، وتوقع المأساة وتنبأ بالكارثة، ودعا إلى تجنب حدوثها واستلهم العبر.[12] وقد تضمن الشعر الذي استوحى مأساة فلسطين أجود الأفكار وأروع الحقائق المستمدة من الواقع والتجربة والتاريخ والاجتماع والعلم في الموضوعات المختلفة التي طرقها، سواء أكانت موضوعات جديدة أو قديمة، وتناثرت أبيات الحكم في ثنايا نصوصه.

وقد فجرت مأساة فلسطين عواطف الشعراء العرب، وأضرمت أحاسيسهم، وألهبت مشاعرهم، ولا يعرف الشعر الحديث والمعاصر مأساة عربية تضرمت والتهبت مثل مأساة فلسطين، التهبت العواطف وتعددت وشوعت واتسقت مع مظاهر المأساة، فكانت تارة عواطف أمل وتفاؤل ورجاء، وأخرى عواطف يائس وتشاؤم وشك، وكانت حينا عواطف رضا، ولأحيانا عواطف سخط وغضب، وكانت مرة ثالثة عواطف مزح وبشر وسرور وعواطف أسى وحزن وأسف.[13]

كانت قصيدة" محمود درويش" القاموس الجمالي الفلسطيني، وقلما التصق مكان بشاعر، مثلما تعلقت فلسطين بدرويش" كنت أحلمها، واسمها بيضاء[14]، كانت تسمى خلايا رمي".

وحول رمز المرأة في الشعر يقول "د. محمد ناصر" " ولما استخدم هذا الرمز في القصيدة التقليدية ضمير المؤنث في مخاطبة الوطن بطريقة مباشرة، أما في القصيدة المعاصرة، فقد ابتعد هذا الرمز عن التقرير، وأصبح الشعراء يصفون الوطن بكل الصفات التي لا يمكن أن تمتلكها أو تتصف بها سوى المرأة." [15]

لدى قراءة شعر" محمود درويش" يتضح لنا أن صورة المرأة أصبحت تمثل لديه ملحما آخر من ملامح شعره، –عدا القصائد الوطنية المقاومة. يبدي فيها حذوا خاصا على المرأة واحتفاء أنيقا بالأنوثة في أسلوب خال من الابتذال والتغزل المصطنع أو الممتهن لذات المرأة الأم والحبيبة والصديقة والرفيقة في درب الحياة. [16]

وأخذت المرأة في القصائد" الدرويشية" أشكالا متعددة أهمها:

أولا: المرأة الوطن:

إن المزج بين المرأة والوطن في شعر " محمود درويش" يمد تجاربه الفنية بنفس عاطفي حضيب، يولد تلك الرؤية الحية، حيث تتحول القصيدة إلى ومضة حلم، يتميز فيه الحب بالوطنية، ويمتزج فيه صورة الفتاة بالوطن، فلا يعود باستطاعة أحد أن يفرق بين عاطفة الحب نحو الفتاة أو الأم، وبين عاطفة الحب نحو الأرض والوطن

يقول الشاعر:

وطني ليس حقيبة

وأنا لست مسافرا

إنني العاشق والأرض حبيبة[17]

وفي قصيدة(موت آخر وأحبك) يصرح الشاعر بجمال الوطن وحبه الكبير والعميق له:

وكيف أقول أحبك؟

كيف تحاول خمس حواس مقابلة المعجزة

وعيناك معجزتان

تكونين نائمة حين يخطفني الموج

عند نهاية صدرك يبتدئ البحر

ينقسم الكون هذا المساء إلى اثنين:

أنت ومركبه الأرض

من أين أجمع صوت الجهات لأصرخ:

إني أحبك[18]

ثانيا: المرأة الأخت" الشقيقة":-

أبدى الشاعر" محمود درويش" عواطفا جياشة اتجاه أخته، معبرا عــن صحبته واحترامه لها، بل وخوفه عليها باعتباره مسؤولا عنها، وسؤاله عن حالها:

وكيف حال أختنا

هل كبرت .. وجاءها خطاب[19]

ثالثا: المرأة الجدة:

يعبر" درويش" عن احترامه ومحبته لجدته، سائلا عن حالها وأحوالها:

وكيف حال جدتي

ألم تزل كعهدها تعقد عند الباب

تدعو لنا

بالخير والشباب .. والثواب.[20]

رابعا: المرأة الحبيبة:-

لقد أصبحت المرأة في شعر" درويش" رمزا للأرض والوطن

عيونك شوكه في القلب

توجعني ... وأعبدها

وأحميها من الريح.[21]

ويقول في موضع آخر:

من رموش العين سوف أخيط منديل

وأنقش فوقه شعرا لعينيك.[22]

ونراه في قصيدة أخرى" تلك صورتها وهذا انتحار العاشق"، يوحي للقارئ بعلاقة حب وغرام بين رجل وامرأة، أما بنية القصيدة العميقة، فإنها أبعد بكثير من المعنى السطحي الظاهر.

أحب امرأة تمر أمام ذاكرتي وميزاني

ولا تبقى ولا تمضي.[23]

لقد أبدع" محمود درويش" في ربط الوطن بالمرأة بتنوعها المختلف عند الرجل، وخاصة الحبيبة، وهذا ما أفصح عنه في قصيدة« النزول من الكرمل»

تركت الحبيبة لم أنسها

تركت الحبيبة

تركت ...

أحب البلاد التي سأحب

أحب النساء اللواتي أحب

ولكن غضنا من السرور في الكرمل الملتهب

يعادل كل حضور النساء

وكل العواصم

أحب البحار سأحب

أحب الحقول التي سأحب.[24]

ويقول في موضع آخر:

خذيني تحت عينيك

خذيني لوحة زيتية في كوخ حشرات

خذيني أية من سفر مأساتي

خذيني لعبة .. حجرا من البيت[25]

ولاحظ هنا تكرار فعل" خذيني" وفيه دلالة واضحة على مدى احتياج" درويش" لوطنه السليب.

أما في قصيدة(الأرض) فتراه يستخدم رمزية امرأة سماها" خديجة" للوطن فلسطين:

أنا الأرض

والأرض أنت

خديجة لا تغلقي الباب

لا تدخلي من إناء الزهور وحبل الغسيل

سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل

سنطردهم من هواء الجليل.[26]

يقصد محمود درويش بحبل الغسيل في هذه القصيدة هو حبل النور، وحجارة الطريق الطويل هو طريق المقاومة والجهاد.[27]

خامسا: المرأة الأم:

يمثل هذا العنصر الأهم في إبداعات" درويش" الشعرية لمكانته العليا في نفسه، وتعتبر قصيدة(إلى أمي) رغم(أو بسبب) بساطتها، وسهولة ألفاظها وسلاسة لغتها الغريبة من القارئ

والمستمع، تحمل بعدا دلاليا وإنسانيا عميقا. ونعتقد أن" محمود درويش" استطاع في هذه القصيدة(وهي من إبداعاته الأولى فقد ظهرت في ديوان:" عاشق من فلسطين" الذي صدر سنة 1966م في شباب الشاعر)، أن يحقق المعادلة الصعبة المستعصية على العديد من الشعراء، المعادلة المتمثلة في اقتران البساطة بالعمق، وإندغام السهولة في الفنية العالية، وتحقق الاستجابة لذوق القارئ العادي والمتلقي من النخبة المثقفة، ولا يستطيع ذلك إلا مبدع موهوب.[28]

أحن إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي
وتكبر في الطفولة
يوما على صدد يوم
وأعشق عمري لأني
إذ مت ... وغطي عظامي بعشب
أخجل من دمع أمي يعتمد من ظهر كعبك
خذيني إذا عدت يوما وشدي وثاقي
بخصلة شعر
وشاحا لهذبك ... بخيط يلوح في ذيل ثوبك

إن الحديث عن الأم بهذا الشكل هو حنين إلى الوطن، وأيام الصبا الحلوة التي قضاها في ربوعه. والأم هنا رمز الصبر والعطاء والديمومة والحنان الفياض، وهي تمثل في نظر الشاعر الوطن المسلوب الجريح.

من أول الملاحظات حول هذه القصيدة(إلى أمي) أم معجمها ملتقط من جزيئات الحياة اليومية الفلسطينية الحميمة- خبز الأم، قهوتها، صررها، الطفولة، خصلة الشعر، ذيل الثوب، التنور، حبل الغسيل، سطح الدار، صغار العصافير (...) لكن هذا المعجم المعبر عن تفاصيل الحياة، توازية وتدعمة ألفاظ وتعابير مشعة، لا تعوق الفهم،بل تزيد الشعر إشراقا وسطوعا، دون إغراق في التصوير الغامض، تكبر في الطفولة، أعشق عمري- أخجل من دمع أمي، خذيني وشاحا لهذبك، عشب نغمد، طهر الكعبة، أصير إليها، قرارة القلب، نجوم الطفولة، لقد كانت عبارات القصيدة عذبة جميلة سهلة سلسلة، إلا إنها موحية، مفعمة بالمعاني العميقة والدلالات ذات البعد الإنساني الشفيف، عبارات مصاغة بشكل فني رهيف، يسهم في أحداث التأثير المأمول في القارئ. ومن الدلالات المعبرة نذكر:

* حب الحياة وتفضيلها، رأفة بالأم. وخجلا من دموعها عند الاستشهاد.

* أن يكون الابن وشاحا لهدب الأم(وهي من أجمل عبارات القصيدة، وتعبر عن مدى علاقة الحب الاستثنائية التي تجمع بين الطرفين).

* تغطية جسده بعشب نغمد(ولفظة تعمد ذات دلاله دينيه تقدسيه كما هو معروف) – الجنة تحت أقدام الأمهات- من ظهر الأم(وكان العشب يتعمد ويتطهر بمجرد ما يلمسه كعب حذاء الأم أو قدم الأم)، وهي صورة رائعة للتقدير(للتقديس) الذي يكنيه الشاعر لوالدته.

* شد وثاق الابن بشعر أو خيط من ثوب الأم لعله(الابن) يصير ملكا- عندما ترضى عنه(يلمس قراره قلبها، على حد تعبي الشاعر).[29]

احتلت الأم مكانه مرموقة في ديننا الإسلامي الحنيف، واحتلت كذلك مكانا عليا في نفوس الشعراء، فصالوا وجالوا في هذا الباب، وأبدعوا فيه، إلا أن" محمود درويش" كان متميزا أكثر من غيره من أبناء جيله من الشعراء، إن قصيدة(إلى أمي) نموذج رائع للشعر الجميل، السهل الممتنع، وهي نشيد مؤثر لعلاقة طفل كبير بأمه، وكل ما يتصل بتلك العلاقة من مشاعر إنسانية عالية، والسمو في صياغة فيه جميلة ودلالاته معنوية لا تقل عنها جمالا وروعه، وجمال القصيدة هذه ينبع حب النقاد من هذا المزج المبدع بين البسيط والدال العميق، في نفس الوقت، ومن هذه الخلطة الفنية العجيبة التي تهز كيان المتلقي، وتؤثر فيه إلى أبعد الحدود، إضافة إلى أن الموضوعة نفسها، موضوعة" الأم" رغم ذيوعه وتداوله، يشير في نفس القارئ، مزيجا من مشاعر الحنان والمحبة، والعواطف الإنسانية الجياشة المرتبطة بالنبوة في علاقتها بالأمومة.[30]

والياسمين اسم أمي: قهوة الصبح
الرغيف الساخن، النهر الجنوني، والأغاني
حين تتكئ البيوت على المساء
أسماء أمي[31]

ويقول في قصيدة أخرى:

أماه ... يا أماه
لمن كتبت هذه الأوراق
أي بريد ذاهب يحمل؟
سرت طريق البر والبحار والآفاق
وأنت يا أماه[32]

لقد ربط" درويش" بين المرأة والأرض، من خلال مقدرة شعرية مبدعه، قلما نجدها في(عتيد) شاعر آخر. فأصبحت من خلالها القصيدة تدخل قارئها على قيمة الشاعر فيها، لأنها غادرت البداهة والارتجال، والتحقت بالبحث الصبور الصارم، عند صدمة اللغة ودهشتها، هي صدمة ودهشة الارتفاع بالحالة الفردية التي علق التجربة الملحمية.[33]

لقد بلغت الصورة الشعرية في إنتاج درويش الشعري عموما، والشعر المعلق بالمرأة مداها الوجداني الموصول بشق النضال في قصيدة" احبك أكثر" حيث تلتئم المبنى بالمعنى خلق المعنى النضالي المشدود إلى روح مقاتلة، تعني في العشق حد الهلاك: وهذا ما نراه في قصيدة(ورد أقل):

تكبر .. تكبر
فمهما يكن من جفاك
سيبقى بعيني ولحمي، ملاك
وتبقى كما شاء لي حينا أن أراك
بسمتك عنبر
وأرضك سكر
وإني أحبك أكثر[34]

لقد أنشد" محمود درويش" للوطن والقضية والحب والحرية والسلم وللمرأة، وللهموم الإنسانية الذاتية، دون التفريط في جمالية التعبير وفنية الصياغة والاحتفاء باللغة، فأبدع وتألق وتفوق على نفسه من ديوان إلى آخر.[35]

يقول" محمود درويش" في أحد المقابلات الصحفية التي أجريت معه" أنا أعتبر نفسي أنه المصدر الأول للشعر في تجربتي هو الواقع، أخلق رموزي من هذا الواقع، فرموزي خاصة بي، حيث لا يستطيع الناقد أو القارئ أن يحيل رموزي على مرجعية سابقة، أي أنني أحول يوص إلى رموزي، الواقع هو مصدر رئيسي لشعري.[36]

فيما اعتبر د. "أحمد " أن توظيف الرمز في القصيدة سمه مشتركة بين غالبية الشعراء على مستويات متفاوتة من حيث الرمز والترميز في الأدب بعامة سمه أسلوبية، وأحد العناصر الجوهرية في النص الأدبي منذ القدم، إلا أننا نراه قد تنوع وتعمق وسيطر على لغة القصيدة الحديثة، وتراكيبها وصورها وبنياتها المختلفة، والرمز بشتى صورة المجازية والبلاغية والإيحائية تعميق للمعنى الشعري، ومصدر للإدهاش بشكل جمالي منسجم، واتساق فكري دقيق مقنع، فإنه يسهم في الارتقاء بشعرية القصيدة وعمق دلالاتها، وشده تأثيرها في الملتقى.[37]

لقد ظل الشعر عند" محمود درويش" تركيبا فنيا جماليا كامنا في بنية اللغة.[38]

بقد كانت القصيدة عن" درويش" عملا فنيا فرديا واجتماعيا في وقت واحد، وتنظيما لتجارب لم تقع إلا لهذا الشاعر الكبير، لكنها تنتظم في سياق الإطار ذي الأصول الاجتماعية الذي يحمله ويتخذ منع عاملا من عوامل التنظيم، ومن هنا كان على الشاعر أن ينصاع في هذا الصدد لشرطين أساسيين متلازمين هما:

- احترام مواضع(مواقع) المقام الأصلي التي ترتهن بها الرؤية الشعرية.
- الاستمرارية والاستجابة إلى تنامي الرؤيا في انسجام مع امتداد الكينونة ونضوج التجربة الوجودية. [39]

أن الرموز والإشارات والإيماءات الموجودة داخل أشعار" محمود درويش" لا تتكشف مدلولاها بسهولة أو من القراءة الأولى، وإنما من خلال استخصار لمعجم الشاعر الفني، ومتابعة سياقات القصيدة وصورها المتشابكة المترابطة من أول القصيدة إلى آخرها.[40]

لقد كان" درويش" شاعرا مكونا بها حبس التجديد والتطوير قادرا على اجتراح لغة جديدة، وأساليب عصرية وكتابة قصائد يتجاوز فيها نفسه، ويقوم بتطوير ذاته وتعميق لأداة بأساليب تزيده قربا من جمهوره تؤسس له مكانه خاصة في وجدانهم، وتضع له مكانا متقدما في المشهد الأدبي على مستوى العالم.[41]

أن المتمعن في إنتاج" درويش" الشعري يظهر له أمران واضحان جليان: أولهاما: أنه كان يميل إلى تغليب جانب التعبير على التجريد في كتابته، فبوسعنا أ، نتمثل جيدا التجربة التي تعبر عنها ونعجب بها.

ثانيها: أنه كان يعمد إلى تشعير اللحظة الوجودية بالوصول إلى أبعد مدى، وأكتف نقطة تتجلى عندها ومضة الجدل، وهي تبلغ قرارها التصويري و الإيقاعي الأخير، وأن ما يسعفه لتفادي نثرية السرد هو هذا الوهج الإنشائي الذي يتخطف عبارة فيكسبها حرارة وحلاوة لا تخلو من بعض المرارة، لقد استطاع" محمود درويش" التملص الماهر من مباشرة السياسة في قصائده، على الرغم من أن القارئ يقود دائما على فهمه وتفسيره في ضوئها، فهو منقوع في مائها ومجنور في أتونها، وبقدر ما كان يرفض أن يتكئ على نبل قضيته، فإنه كان يجتهد في تجديد مساراته وابتكار دروبه وأساليبه، غير أن ما أنقذ ثورة من عملية الرمز

الخفي والتجريد البعيد هو حفاوته بالإشارات الذالة، الكافية لكي ينفتح على فنون التأويل الخصب والتذوق الجمالي الممتع لأبعادها.[42]

من خلالها طرحناه من نصوص شعرية منتقاة، لابد من إسداء بعض الملاحظات حول الشاعر ومشروعه الشعري الإبداعي":

1- إن" محمود درويش" كان منفتحا على الحداثة الشعرية المميزة، فحداثة" درويش" ليت حداثة الغموض، ولكنها حداثة الوضوح الذي يتحرك في عمق الفن، لأن هناك وضوحا لا فنية ولا فن فيه، بينما جمع" درويش" الاثنين معا.[43]

2- لقد شكل محمود درويش ظاهرة إنسانية وشعرية في عالمنا العربي، وقد نحتاج إلى وقت طويل كي نحصل على ظاهرة جديدة أخرى في حجم ظاهرته، ولهذا أدعو جميع المثقفين والباحثين والنقاد قراءة" محمد درويش" الإنسان وقراءة شعره بعيدا عن الطريقة التقليدية، بل من أجل النقاد عبر الشعر إلى عقل الشاعر وروحه وقلبه وإحساسه ومشاعره وحركتيه، والآفاق التي أراد اكتسابها، والتحليق فيها كي يصل إلى تحقيق ما كان يصبو من انزام بالقضية غني مما تم التعبير عنه، لأنه نفسه كانت تجيش بالفكر الذي أراد أن يبدعه ويمنحه لشعبه.[44]

3- الابتعاد عن معالجة شعر" درويش" على أساس كونه فلسطينيا لا أكثر ولا أقل واختزاله في هذا البعد، وفي هذا ظلم له، وإنقاص من شعرية نصوصه وإبداعاته المختلفة. ومحاولة للنيل منه، ناهيك عن أنه يجعل إدراك النص إدراكا متقطعا وقراءته قراءة مقتضبه.[45]

4- الابتعاد قدر المستطاع من قبل النقاد والباحثين من معالجة شعر" درويش" من الناحية السياسة فقط، وهذا ما صرح بع الشاعر" أشكو من الإفراط في التأويل السياسي لشعري، على حساب الانتباه إلى المسألة الجمالية، التي ينبغي للنقد أن ينشغل بها أكثر من خطاب القصيدة".[46] يقول " محمود درويش في لقاء صحفي مع قناة(LBC اللبنانية) أنا أنزعج من شيئ واحد، أن تعرف بطاقتي الشعرية بالبعد السياسي فقط.[47]

5- لم يكن" محمود درويش" مناصرا لأدعياء الحداثة"، الذين يحاولون تدمير كل شيئ" (الدين، التراث، اللغة،..)، وصرح بذلك" لقد دمروا الشعر، ووصفه دعاة قصيدة النثر بالذين يملكون جرأة غير عادية، في إلقاء شعرهم في قاعات فارغة خالية، إلا من بعض أصدقائهم وزوجاتهم وبعض الأقارب(...) كان يخشى هؤلاء، ويبتعد عن الصدام معهم، فهم يملكون مراكز قوى مدججة بالأسلحة، أو" ما فيات" تهتمين على الصفحات الثقافية في الصحف والمجلات العربية، ويجاملون بعضهم البعض، ويكرهون بعضهم البعض، وإذا تصالحوا فلفترة قصيرة كان يسهيها

- تحالفات الخمس دقائق- لكنهم يتوحدون ضد غيرهم من شعراء الوزن والموسيقى، ناهيك عن شعراء القوافي.[48]

6- إن الشعر الفلسطيني الحديث والمعاصر بحاجة ماسه للدراسة والبحث، لأنه يمتلك تراثا فكريا كبيرا متميزا، وثروة فنية ضخمة، وعليه وجب أن تتجه إليه عناية الدراسية. وأن يجد العناية المطلوبة من أهل الاختصاص في الدراسات الأدبية واللغوية ... .

وفي الأخير لقد أحب" درويش" العرب جميعا، ولم يكن غريبا أن تكون أقوى قصائده في بواكيره الأولى(سجل أنا عربي)، وكان يشعر بمودة خاصة تجاه أبناه المغرب العربي الذين تبادلوا الحب. بحب

أسطوري، ولذلك لم يتردد في قبول دعاواته لإلقاء أشعار في الجزائر والمغرب وتونس في فترات متقاربـــة.
[49]

لقد انفرد" درويش" عن غيره من الشعراء برموزه الخاصة المبدعة التي جعلته متميزا عن غيـــره، وقد أعطى للمرأة مكاناتها تسما بها، ودليل ذلك أنها احتلت المكانة العليا في إنتاجه الشعري، وأخرجها معززة مكرمة من البعد الجسدي وجعلها رمزا للمقدس– الوطن–.

الهوامش

[1]- (www.adabwafan.com)
[2] - حيدر بيضون: محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.ص 11.
[3] - فتيحة محمود: محمود درويش ومفهمو الثورة في شعره، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر، 1987. ص40.
[4] - (www.aljazera.net)

[5] - (جريدة الرياض www.jehat.com)
[6] -(جريدة الرياض ww.jehat.com)
[7] - نفسه.
[8] صبحي حديدي: " محمود درويش: التعاقد الشاق(www.alsafahat.net)
[9] - عبد الحميد هيمة: علامات في الإبداع، دار هومة، الجزائر، 2000م. ص 12.
[10] ينظر د. كامل السواقيري: الشعر العربي في مأساة فلسطيني- 1900- 1960-ط2. [د.ن]، 1985. ص168.
[11] - نفسه ص 329.
[12] - نفسه 542 - 545
[13] - نوال العلى:" مجاز الحضور والغياب" (جريدة الأخبار www.jehat.com)
[14] - د. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحذيث" اجاهاته وخصائصه الفنية"،- 1925- 1975-، دار الغرب، بيروت،1985م. ص559.
[15] - (www.aljazera.net)
[16] - حيد بيضون: المرجع السابق ص78.
[17] - محمود درويش: الديوان، دار العودة، بيروت، 1993م.ص 512.
[18] - المصدر نفسه ص 551.
[19]- -المصدر نفسه ص 37.
[20] - المصدر نفسه ص 37.
[21] - المصدر نفسه ص 79
[22] - المصدر نفسه ص 82.
[23] - المصدر نفسه ص 560.
[24] - المصدر نفسه ص 572.

[25] - المصدر نفسه ص84.
[26] - المصدر نفسه ص618، ص 679.
[27] - ينظر د. مصطفى عبد الشافي: في الشعر الحديث والمعاصر، دار الوفاء، مصر، 1998م، ص108.
[28] - محمد حجاجي:" إلى أمي وجمالية الإنسياب في البساطة"،(www.zizalley.com)
[29] - الديوان ص98.
[30] - محمد حجاجي: المرجع نفسه.
[31] - نفسه.
[32] - الديوان: 566.
[33] - الديوان ص 39.
[34] - محمد بنيس: " فن المقاومة المتجددة(www.jehat.com)
[35] - خالد الغريبي، الصورة في الشعر الغربي الحديث" ورد أقل لمحمود درويش أنموذجا"،(www.mahmouddarwish.com)
[36] - محمد حجاجي: محمود درويش: البدر المفتق في ظلمات العرب(www.zizvalley.com)
[37] - يوسف حاتم: محمود درويش في حضرة الغائبل(البيان www.jehat.com)
[38] - أحمد الزغبي: الرمز في الشعر العربي الحديث" محمود درويش نموذجا"(جريدة الرأي www.mahmouddarwish.com)
[39] - - ينظر عبد السلام عبد الكريم: من سجل أنا عربي(www.alquds.co.uk)
[40] - نفسه.
[41] - أحمد الزغبي: المرجع السابق.
[42] - أحمد إبراهيم الفقيه: سيمضي وقتا طويلا(القدس العربي www.jahat.com)
[43] - د.صلاح فضل: التملص من المباشرة(السفير www.jahat.com)
[44] - محمد حسين فضل الله: "محمود درويش شاعر فلسطيني والإنسانية(الحياة www.jahati.com/ jehaat/ar/malafat)
[45] - نفسه.
[46] - منصف الوهايبي:" محمد درويش: القصيدة التي التي تطهرت من روائح مغسل الثياب"،(القدس العربي www.alquds.co.uk)

[47] - (www.aloufok.net)
[48] - (www.mahmouddarwish.com)
[49] - عبد الباري عطوان: محمود درويش الذي عرفت(ww.elwwdja.org/quds)

© مخبر وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها.
جامعة محمد خيذر بسكرة، الجزائر.2009

http://labreception.net